



مقدمة:

الشباب ثروة الأمة الغالية، وذخرها الثمين، يكون خيراً ونعمه حين يستثمر في الخير والفضيلة والبناء، ويغدو ضرراً مستطيراً وشراً وبيلاً حين يفترسه الشر والفساد.

1- قيمة نعمة الشباب

إن نعمة الشباب هي نعمة من أجل النعم التي يكرم الله عز وجل بها الإنسان في حياته، حيث أنها تعتبر مرحلة القوة التي تأتي بين ضعفين:

ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، ولذا يتحتم على الإنسان أن يدرك خطر هذه المرحلة من حياته، فهي مرحلة القوة والحيوية والنشاط والعطاء، فعلى الشاب أن يستغلها في طاعة الله عز وجل وفيما يعود عليه وعلى أمنته بالنفع والخير لأنه سيسأل عنها يوم أن يعرض على رب الأرض والسماء.

الشباب تُؤثِّبُ روح واستنارةً فكري وطفرةً أهلٍ وصلابةً عزيمةً، وما ظهر الدين وعرف الناس شرائع النبيين إلا بفضل الشباب الصالحين (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) (آل عمران: 172).

فهم النقباء والحراريين، والأنصار والمهاجرين، وهم العلماء والمعلمون، والخطباء المصقعون، والتاريخ أصدق شاهد بفضل الشباب الناشئين في طاعة الله عز وجل، حيث يقول ربنا سبحانه في أصحاب الكهف (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آتَيْنَا بِرِءَاهُمْ وَرَزَّنَا هُمْ هُدًى) (الكهف: 13).

بل إن العصبة المؤمنة التي تركزت في دار الأرق وعلي يديها تحقق نصر الإسلام كانوا شباباً، وهم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة، وهم الذين استعدوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية، وهم الذين واصلوا ليهم بنهاهم حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره وكيانه، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه، ولله در القائل:

شباب الحق يا أملاً *** يداعب فجرنا الراهن
ويا صوتاً يُشبعُ الرعبَ *** في قلب الدجى الغادر
ويا درعاً يصونُ الدينَ *** يحمي عرضنا الطاهر

2- تسليط الضوء على نماذج من الرعيل الأول:

تعالوا معي إلى الصفحات العطرة، وقبس من حياة شباب الرعيل الأول الذين أفنوا أعمارهم في عبادة الله وطاعته، ومع البطل الأول القاتل لصناديد قريش إنه شاب وأي شاب؟!

إنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي قتل يوم بدر خمسة عشر رجلاً من صناديد قريش، ولقد نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم في أصعب ليلة مرت بها الدعوة، نام في الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائم في الفراش، وفي غزوة أحد يقتل علي رضي الله عنه أبا أمية بن أبي حنيفة ورجلاً

آخر، وفي غزوة الخندق أيضاً قتل عمرو بن عبد وُدّ فارس قريش في يوم الأحزاب (كبس الكتبة)، فكبر المسلمين لذلك، فلله دره من شاب كان أول من أسلم من الصبيان!! حتى بلغ هذه المنزلة (أترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) (البخاري: 3706 ومسلم: 2404).

وهذا نجم آخر من هذه النجوم الظاهرة، أقسم له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحبه، إنه معاذ بن جبل رضي الله عنه، إنه يوم مات لم يتجاوز عمره ثلاثة وثلاثين عاماً وقد حصل ما حصل، وسبق الأمة في الفقه وعلم الحلال والحرام في تسع سنوات، فلله دره من شاب مغوار فارس مشتاق إلى ربه، فقد كان رضي الله عنه قائداً للميمنة في (أجنادين) حيث قام في أصحابه، فقال: (يا معاشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار إسلام أبداً، مع رضوان الله والثواب العظيم من الله) فكان يومئذ من أشد الناس على أصحابه حرصاً، وأمضاهم في رقاب الروم سيفاً، وفي يوم اليرموك أيضاً قام وخطب في الناس - اسمعوا يا شباب الإسلام - خطب في صباح المعركة قائلاً: (يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق إن رحمة الله والله لا تناول وجنته لا تدخل بالأمانى، ولا يؤتي الله المعرفة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عزوجل به (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتُخْفِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ بِنَهْمَ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55).

وأنتم إن شاء الله منصوروه، فأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته وليس لأحد منكم ملجاً من دونه ولا متعزز بغير الله). فرضي الله عنه من مشتاق إلى ربك ودار كرامته.

وهذا الحب بن الحب أسامية بن زيد رضي الله عنه الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش لفتح بلاد الشام وهو ابن الثامنة عشرة سنة وفي الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهم وشيخ الأنصار وكبار المهاجرين، ومنهم الفاتح الأول للمدينة، والداعية الشهيد، والوجه الفاتح للإيمان: مصعب بن عمير رضي الله عنه.

وغيرهم كثير، وهكذا سجل تاريخ أمتنا نماذج فذة لشباب تمسك بالإيمان الصحيح والعمل القويم، والتزام منهجه الله وشرعه، أسعد أمتنا بقوله، وقوى أركان مجتمعه بجميل فعاله، مما يبشر بخير عميم، وهو حجة الله على غيرهم، وقد سمعت عن بعض هؤلاء الأبطال.

والنماذج كثيرة يصعب حصرها وعدها.

3- خطورة انحراف الشباب:

إن الانحراف في مرحلة الشباب خطير ومخيف، فمنحرف اليوم هو مجرم الغد، مالم تداركه عنابة الله، وعلى قدر الرعاية بالشباب والعناية بشؤونهم يتحدد مصير الأمة والمجتمع.

إن انحراف شبابنا من أعظم المسائل المطروحة اليوم، وأهم القضايا التي تقلق الآباء والمربين. تملك بعض كتابنا ومفكرينا العاطفة، وتقدورهم السطحية أحياناً في التعامل مع ظاهرة الانحراف فنظل نلوك المشكلة ونفجر جراحها ونردد آهاتها مرة وثانية وثالثة دون طائل.

والعلاج الناجع إعمال العقل وإمعان النظر، واستشراف المستقبل بتحليل الظاهرة، ودراسة أسبابها، والعمل على الوقاية منها بموضوعية ومنهجية على أساس من الدين والشرع، وليس غريباً أن يهتم المختصون بظاهرة الانحراف في أوساط الشباب لتجفيف منابعه، واجتثاث جذوره، لأن الشباب أمل الأمة، وعدة المستقبل، وذخيرة المجتمع، والعصب الفعال في حياة الأمم، والشباب كفирه يخطئون ويسيرون، حيث قال صلى الله عليه وسلم (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (أحمد: 13049، وغيره وحسنه الألباني).

إلا أن هذه الأمة التي كتب الله لها الخيرية بين الأمم لا ترضى لشبابها إلا أن يكونوا على الأرض سادة، وفي الأخلاق قادة. ولكن في عصرنا تنوعت مسالك الشبهات، وتأججت نوازع الشهوات، وغدا شبابنا معرضاً لسهام مسمومة، ورماح غزوٍ ذاق مرارتها المجتمعُ في غلوٍ وتکفير، وانحلال خلقي مقيد. ومن الانحراف ما يهدد الأخلاق ويحطم القيم ويشكل أضراراً جسيمة بنظام المجتمع وسلامته.

فالانحراف قد يكون فكرياً وهذا ما تحدثنا عنه، وقد يكون أخلاقياً وهذا أيضاً من الخطورة بمكان، لأن سلامة القاعدة الأخلاقية في حياة الأمة سبيل استقرارها، ومناط قوتها، وإذا انحرف سلوك الأفراد وانفجر برkan الشهوات وسيطرت النزوات أشرفت الأمة على الهلاك وأذنت بالزوال، قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهَلِّكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرَفِّهِا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا) (الاسراء: 16).

وإننا نحمل مسؤولية هذا الانحراف كلا من الأسرة وأقصد بها الأبوين، حيث أنه لا يشك عاقل أن الآباء حين يمارسون التربية الصحيحة و يجعلونها أولى المهمات في حياتهم، فعندئذ يوفرون المناعة الكافية ضد الانحراف والوقاية من المصير الأليم (والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) (البخاري: 893).

وأيضاً للمدرسة دور كبير في الانحراف حيث أن المعلم محور التربية والتعليم به نقاوم الانحراف ونحسن الشباب إذا كان مستقيماً في سلوكه، صالحًا في خلقه، متقدماً لعمله يحمل هم أمته ومجتمعه، وتلك أهم سمات المعلم في المجتمع المسلم. وأيضاً فإن الفراغ يعتبر سبباً من أسباب الانحراف، لأن الوقت إذا لم يوظف توظيفاً سليماً فإنه ينقلب بآثاره السيئة على صاحبه ويكون أكثر استعداداً للانحراف، فيجب على الوالدين أن يتبيّناً أين وكيف تقضي ساعات الفراغ، ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أيضاً أن ينتبه الوالدين إلى الرفقة الذين يرافقهم ابنهم؛ لأن القرین السيء من المهلكات، كما أن الرفقة الصالحة لها أثر كبير في اكتساب القيم والسلوك (الماء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل) (أحمد: 8417، وحسنه الألباني).

4- سلامة جيل الصحابة من الانحراف الفكري والخلقي:

في ميدان الأفكار المنحرفة والفرق والملل الباطلة لم يتلوث مجتمع الرعيل الأول جيل الصحابة بقاذوراتها فقد كان تحصين الرسول لهذا الجيل قوياً خرج الرسول على أصحابه وهم يتنازعون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: (بِهَا أَمْرَتُمْ - أَوْ بِهَا بَعْثَتُمْ - أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِعِصْمِهِ بِبَعْضِهِ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأَمْمُ قَبْلَكُمْ بِمِثْلِهِنَا لَسْتُمْ مَا هَا هَنَا فِي شَيْءٍ انْظَرُوا لِذِي أَمْرِتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَالَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهِ فَانْتَهُوا عَنْهُ) (أحمد: 2/178).

ولقد تيقظ الصحابة للفتن المدلهمة فأغلقوا منافذها ووقفوا منها موقفاً منهجاً حازماً وخير دليل على هذا موقف سيدنا عمر بن الخطاب عندما ضرب صبيع بن عسل بعراجيين النخل حتى سالت الدماء على رجليه عندما كان يبحث عن المعضلات والمشكلات في الكتاب والسنة. (الدارمي في مقدمة سننه: 144)

5- وسائل علاج الانحراف:

إن من أهم وسائل علاج الانحراف:

القيام بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، قيام المسجد برسالته، وإحياء دوره في التوجيه والإصلاح، وقيام الدعاة والمربيين بواجبهم وتحمّل مسؤوليتهم،

أصحاب الفكر وحملة الأقلام ندعوهم للإسهام في مقاومة مظاهر الانحراف بدراساتها ووضع الحلول لها، بل كل واحد منا يعتبر حارساً أميناً ومسؤولاً عن حماية أمته من الفساد والانحراف محافظاً على نقائه وبناء مجتمعه، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِّكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: 117).

يتحقق هذا في التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالقيم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو صمام أمن المجتمعات وسبيل نجاتها قال الله تعالى: [وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ (3)] (سورة العصر)

6- من أي الفريقين أنت أيها الشاب وماذا قدمت لأمتك؟

بعد أن عرفت خطورة مرحلة الشباب من حياتك وأنها نعمة من أجل النعم وأنها سلاح ذو حدين فإذاً أن تسخره لخدمة دينك وإصلاح مجتمعك الذي عقد آماله بعد الله عليك فتكون أداة خير وصلاح، ونفع الدين الله عزوجل فتقديم الغالي والرخيص في سبيل نصر دين الله ونشر دعوته والذود عن أعراض المسلمين، وتبصر التائبين عن الطريق السوي والفكر الصحيح تبصرهم وتنور عقولهم بالحجج القاطعة الدامغة من كتاب الله وسنة رسوله، فيكون قد ودتك في هذا صحابة رسول الله الذين سمعت شيئاً عن سيرهم كعلي وأسامه ومعاذ ومصعب وغيرهم.

ولما أن تتبع الهوى والباطل وتنحرف مع المنحرفين مقتدياً بأهل الضلال والشهوات الذين أثروا الدنيا على الآخرة فتفسر مع الخاسرين الذين خسروا خسائر واضحة وخلفوا آثاراً عميقاً فكان فعلهم طعننا في قلب المجتمع ونزيفاً في جسده. إن المسؤولية الملقاة على عاتقكم أيها الشباب كبيرة، وخاصة في مثل هذا الظرف الذي تعيشه أمتنا اليوم ونعيشه في بلدنا خاصة،

فها هي السوق فتحت، والبضاعة عُرضت، وصوت الحادي ينادي:

الدنيا ميناء يتزود منه المسافرون إلى الجنة أو إلى النار، فها هي رحمات رب المنزلة تعرض نفسها عليك، الحور تهتف في الأسحار شوقاً إليك،

إيمان لا يتبعه عمل هباء.. وشراء الجنة دون دفع ثمن هراء.

الرحلة لا تمر على طريق الكسل.. والقادلة ليس من زادها طول الأمل.

جِدَّ في غيظ عدوك الذي أخرج أبويك من الجنة.

ادفع ثمن الصحبة إن أردت.. فإن مجالسة النبيين في الجنة غالبة.

كَحِلَّ عيونك بالسهر، وأسرج جواسك للسفر، واعلم أن هجر الوسادة ثمن السيادة.
أصدق مع الله مرة، وسترى العجب.

أنت مدعو على موائد الكرم الإلهي، والأجر الرباني، وحق على المزور أن يكرم زائره.

فلنتبه إلى عظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه ديننا وأمتنا، ولنعلم أننا بين يدي ربنا موقوفون ومحاسبون، فلنحضر لكل سؤال جواباً، والله نسأل أن يعيننا ويثبتنا إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .

المصادر: